Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

مع المتنبّـي في تحليل قصيدة رثائيّة ونقدها

الدكتور محمد فاضلي

كلية الآداب ـ جامعة مشهد

دراسة تحليلية و نقدية للقصيدة التي نظمها المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة
قسم فيها الكاتب القصيدة الى افكارها الرئيسية و بعد أن شرح الابيات شرحاً ادبياً بادر الى نقدها و ايراد الآراء المختلفة حول ابياتها.

هذه القصيدة التي سنحاول تحليلها ونقدها تبتدئ بالمطلع التالي:

نُعِدّ المشرفيّةَ والعَوالي وتَقْتُلنا المنون بلاقتالِ

انشد المتنبي القصيدة في رثاء والدة ممدوحه و أفرغ ما في وسعه ليتلقى بالقبول من جانب امير آل حمدان الذي ذاق مرارة الكارثة، و حاول أن يحوّل الرزء الى صورة يتسلّى القلبُ عندها و يطفئ جوى الحزن لديها.

هيكل القصيدة:

يبلغ عدد ابيات القصيدة ۴۵ بيتا، ترتكز من حيث الشكل والمعنى واللحمة والسّدى على المواد والمسائل الآتية:

آ ـ مقدمة في عجز الانسان وفشله امام الموت و حرصه على الحياة في اربعة ابيات ۱ ـ ۴.

ب ـ التمهيد للدخول في الموضوع بثلاثة ابيات ۵ ـ ۷.

ج ـ استعظام الحادثة والثناء على الشخص الرّاحل واظهار الأسف عليه و تصوير تشييع جنازته في تسعة و عشرين بيتا ۸ ـ ۳۶.

د ـ آراء و حكم في ثلاثة أبيات ۳۷ ـ ۳۹.

هـ ـ تسليته سيف الدولة في ستة أبيات ۴۰ ـ ۴۵.

الشرح والتحليل

يبدأ الشاعر رثاءه بفشل الانسان امام الموت و عجزه من دفعه و تحيّره في ردّه، ذلك ان المنية عدوّ لا تنفع الحيل في منعه، و سارق لاتفيد الحصون الحصينة في صدّه.

«وما الموتُ الا سارِقٌ دَقّ شخصُه»

نتخذ السيوف والرّماح لمدافعة الأعداء وصيانة النفس والتمسك بالحياة، لكنّها لاتمنعنا من بطشة المنية لانها تهلكنا بلاقتال و تصيدنا بلاحبال، و كذلك نتخذ الخيول السريعة بين ايدينا و نتوسل اليها لتسبق الحادثات فنتخلّص منها، لكن الخيول لايسبقن كرّالليالي و توالي الليل والنهار، فينجينا من نهب الأعمار.

نتّخذ كلّ الحيل للسعي وراءالحياة فانها عزيزة والمنية غرّيرة، من الذي لم يعشق الدنيا ولم يهوالخلود فيها؟ بيد أن الانسان لايعرف سبيلا الى البقاء لدى هذا الحبيب وحيله تدو

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

الوصال عنده. فحظ الانسان من الدنيا في الحقيقة و بعيني الاعتبار حظه من رؤيا لذيذة يراها في النوم فتمحو بسرعة بعد اليقظة، فكلاهما قصير الأمد جدا.

نُعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال(١)
ونرتبط السوابق مُقْرباتٍ ... ومايُنجين من خبب الليالي(٢)
و من لم يعشق الدّنيا قديما ... ولكن لاسبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب ... نصيبك في منامك من خيال

بعد بيان فشل الانسان في دفع الموت والاسف على عدم البقاء في الدنيا، يجتاز الشاعر المقدمة و يمهد السبيل للدخول في صلب الموضوع، فيصف حظ نفسه من الدهر وابتلائه بمصائب كثيرة إذ استهدف لحوادث الأيام، وجعل فؤاده في غشاء السهام، بحيث اذا اصابته سهام جديدة لاتمس قلبه و جسمه بل تنزل على السهام السابقة فتنكسر النصال على النصال. ففي هذه الحالة لم يبق للشاعر مايخاف عليه، بل هان عليه الدّهر ورزاياه فلا يحفل بها، لانه لاطائل في الاهتمام بشأنها. فيقول:

رماني الدّهر بالأرزاء حتّى ... فؤادي في غشاءٍ من نبال(٣)
فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ ... تكسّرت النصالُ على النصال(٤)
وهان فما أبالي بالرّزايا ... لأني ما أنتفعتُ بأن أبالي

فالشاعر بعد أن تغشى بهذا الثوب للحداد، وتلبّس بالحزن والأسف يقبل على الموضوع و يستعظم الحادثة. فيجعل خبر موت الفقيدة اوّل نعي بين الناس و شخصها اوّل راحل في تلك العظمة والجلالة، كأنّ الناس قبلها لم يروا من الموت أثرا، ولم يسمعوا منه خبرا، ثم يدعولها و يجعل مغفرة الخالق و رحمته حنوطا و سترا طيبا لميتة احتجبت في ثوب من الجمال، و دفنت قبل التراب في كريم الخلال. لان بلي شخصُها تحت الارض بعيدا، يبقى ذكرها بالخصال الحميدة في القلوب جديدا.

وهذا اوّل الناعين طُرّاً ... لأوّل ميتة في ذا الجلال(٥)
كأنّ الموت لم يفجع بنفس ... ولم يخطُ لمخلوقٍ ببال(٦)
صلاة الله خالقنا حنوطٌ ... على الوجه المكفّن بالجمال(٧)
على المدفون قبلَ التراب صونا ... وقبل اللحد في كرم الخلال(٨)
فإنّ له ببطن الأرض شخصا ... جديدا ذكرناه و هو بالي(٩)

بعد أن استعظم الامر وخلق جوّا كئيبا يتوسل الى النظر في غاية الدنيا والحياة، ويلتفت الى ما يسلّي النفس عما فقدته. فيبيّن انه لم يقدر للانسان البقاء في الدنيا و ماغاية الدّهر الاّ الزوال، ولكن يُطيب النفس في هذه الحادثة العظمى أن الفقيدة نالت موتا في جلال و شرف تمنته النساء جميعا، وفارقت الحياة طاهرة كريمة، و ما واجهت كريهة تُنغص الحياة و تحبب الزوال، و بانت والعزّ فوقها ممدود، و كمال ملك ابنها مشهود.

ثم يدعولها بان يسقي قبرها سحابٌ غزيرالمطر يمثل نوال كفّها بين سائر الأكف، فيفعل سيلانه و قطراته على القبر ما يفعل أيدى الخيل على الأرض لما ابصرت المخالي.

وما احدٌ يُخلّد في البرايا ... بل الدنيا تؤول الى الزّوال
أطاب النفس أنّك متّ موتا ... تمنّته البواقي والخوالي(١٠)
وزلتِ ولم تَرَيْ يوما كريهاً ... تُسَرُّ النفسُ فيه بالزّوالِ
رواقُ العزّ فوقك مُسْبَطِرٌّ ... و ملك على ابنك في كمالِ(١١)
سقى مثواك غاد في العوادي ... نظيرُ نوالِ كفّك في النّوالِ(١٢)
لساحيه على الأجداث حَفْشٌ ... كأيدي الخيل أبصرت المخالي(١٣)

بعد هذا يستدرك الشاعر ثناءه على الميتة و يجعلها اليف المجد و ملازم الجود، فكلما يرى مجدا يسأله عنها لانه ماعهده خاليا منها، و كلما يمر عليها طالب المعروف يتذكر جودها و يبكيها فيمنعه البكاء من السؤال، فلو لم يأخذها الموت من النوال لاهتدت الى المعروف بلا حاجة الى الكلام والمقال. ثم يقسم الشاعر عليها بحياتها ان قلبه لم يتسلّ عنها و إن فارق أرضها، ولكن لايدري هل تسلّت الفقيدة في نهاية مطاف حياتها عن الفعل الجميل والعيشة والناس فرحت عنها.

ويتأسف على أنها نزلت بمكان لاتتمتع فيه بالروح والرّيحان، و دخلت دارا سكانها غرباء طال هجرهم و انقطع رباطهم. ففي هذا المكان توطنت من هي مثل المزن في الطهارة والنقاء، و من هي كانتة للسّر و صادقة في القول، يحقّق آمالها و يعالجها طبيب حاذق و ابنها المنقطع النظير، العالم بامراض العزّ والمعالي، فحيثما يجد داءً يشعر من ملكه يعالجه بأسنّة الرّماح الطويلة.

أسائل عنك بعدك كلّ مجدٍ ... و ما عهدي بمجدعنك خالي
يمرّ بقبرك العافي فيبكي ... ويشغله البكاءُ عن السؤال(١٤)
وما أهداكِ للجدوى عليه ... لوأنّكِ تقدرين على فعالِ(١٥)
بعيشك هل سلوتِ فانّ قلبي ... وان جانبتُ أرضك غير سالِ
نزلتِ على الكراهة في مكان ... بعدتِ عن النعامى والشّمالِ(١٦)
تحجّبُ عنك رائحة الخزامى ... وتُمنَعُ منك أندية الطّلالِ(١٧)
بدارٍ كُلّ ساكنها غريبٌ ... طويلُ الهجرِ مُنبَتُّ الحِبالِ(١٨)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

حصانٌ مِلُّ ماء المُزْنِ فيه ... كتومُ السّر صادقة المقال(١٩)
يُعَلِّلُها بِطاسيّ الشَّكايا ... وواحِدُها بِطاسيُّ المعالي(٢٠)
اذا وصفوا لَه داءً بنغرٍ ... سقاه أسنة الأسل الطوال

بعد أن زاد الشاعر في نهاية هذه الحلقة بيتين في مدح سيف الدولة يرجع الى الموضوع و يتدّرج في مدح الفقيدة ويضعها في الطبقة المتمتازة، ويصف كيفيّة تشييع جنازتها و حالة المشيعين من الرجال والنساء، ويصورّها احسن تصوير. فهي فاقت على سائر النساء بالصيانة والتستر، ولم تكن من اللواتي يتخذن القبر حجابا لهن. و كذلك فاقت عليهن بالشرف والعزّ، فلم يسيعها أوساط الناس واهل السوقة فبودعوها بنفض الغبار من نعالهم عند منصرفهم، بل مشىٰ في جنازتها كبارالدولة والأمراء حُفاةً ووطئوا الحجارة واستلانوها كأنّها ريش النعام ولم يلتفتوا إلى و خزها من الحزن والسقام.

وخرجت لموتها نساءٌ متسترات في الخدور و تركن التطيب بالغوالي والتّمسك بالحسن والجمال، فاتخذن ثوب الحداد و شعار حزن البال، نزلت المصيبة بهن على غفلة، فبينما كُنّ يبكين دلالا فُجِعْن بموتها و بكين حزنا، فاختلط الدّمعان باعينهنّ.

ثم يُعظّم الفقيدة بأنها تفضل على الرّجال، و أنها لوكانت سائرالنساء بلغن رتبتها في الخصال والفعال لسبقن الرّجال جميعاً ولفُضِّلْن عليهم، فإنّ نفس الذكورة لاتُعدّ فضلا كما أن نفس الأنوثة لاتعد نقصا، فلا يضع الشمس تانيثُه كما لايرفع الهلال تذكيره. إنّها كانت بين النساء مفقودة المثال فلا يوجد عنها اليوم عوض، ولذلك كان فقدها اشدّ حزنا و موتها أوجع المآ.

وليست كالأناث ولا اللّواتي ... تُعَدُّ لها القبورُ من الحجال(٢١)
ولا من في جنازتها نجارٌ ... يكونُ وَداعُها نَفضَ النِّعال(٢٢)
مشى الأمراءُ حَوْلَيْها حُفاةً ... كأنّ المرو مِنْ زِفِّ الرِّئال(٢٣)
وأبرزتِ الخدورُ مُخبّآتٍ ... يَضَعْنَ النفس أمكنة الغوالي(٢٤)
أتَتْهُنّ المصيبةُ غافلاتٍ ... فَدمعُ الحزن في دمع الدّلال
ولَوْ كان النساءُ كمن فَقَدْنا ... لَفُضّلَت النساءُ على الرّجال
وما التأنيثُ لأسمِ الشّمس عيبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال
وأفجَعُ مَنْ فَقَدْنا من وجدنا ... قُبيلَ الفقدِ مفقودَ المثال

لما كان الشاعر ههنا في رحلته الرثائية على و شك الإنتهاء، و عبرَّعن تعظيم المصيبة وتوصيف حزنه والثناء على الشخص الراحل و مدحه و تصوير تشييع جنازته و حالة المشيّعن والدعاء بالسقي والرّحمة، ظهر في زيّ حكيم و يأتي بآراء و خواطر عامة حول مصير الإنسان و قضايا الموت، و ذكر أن الانسان لايزال في الدنيا من فقدٍ و دفن، يبلى الماضي و يمرّ على ترابه الباقي فلا يتّعظ ولا يعتبر بزواله. كم نرى ناعمة كانت تقبّل عينها الإعزاز والإكرام، و هي اليوم بالية و عينها و طئة بالحجارة والرّمال والاقدام، و كم مستسلم اليوم للموت تحت التراب و هو لم يستسلم قبل للخطب والحراب، و كم بالٍ، جسمه اليوم في القبور و هو يهتمّ بهزاله وضعفه في القصور.

نُدفّن بعضنا بعضاً و نمشي ... أواخِرنا على هام الأوالي(٢٥)
وكم عينٍ مقبّلة النّواحي ... كحيلٍ بالجنادلِ والرّمالِ
ومُعضٍ كان لايُغضي خطْباً ... وبالٍ كان يفْكُر في هُزالِ

كان المتنبي بهذه الأبيات فتح الباب لمن أُعْجِب بكلامه اعني فيلسوف المعرّة حيث يقول في رثاء الفقيه الحنفي:

خَفِّف الوَطْءَ ما أظنّ أديم الأرْ ... ضِ إلّا من هذه الاجساد
وقبيحٌ بنا وإن قدم العهدُ ... هوانُ الآباء والأجداد
سِرْ إن أسطعت في الهواء رويدا ... لاختيالاً على رُفات العباد

يرجع الشاعر في نهاية مطافه الى سيف الدولة و يقبل عليه فيدعوه الى الصبر والصمود، ويخصّه بالثناء والمدح، ويعدّه اثبت من الجبال عندالخطوب. يخاطبه بانه مارس المحن والشدائد و خاض المهالك وجَرّبها، و تمرّ عليه الأيام صفوها و كدرها، حلوها ومرّها، فلا يتغيّر بتغير الحدثان ولا يختلف بأختلاف احوال الزّمان. ما أحسن قول الشنفرى في هذا المعنى:

فلا جَزِعٌ مِنْ خَلّةٍ مُتكشّفٌ ... ولا مَرِحٌ تحت الغِنى أتخيّلُ

فهو يعلم الناس التعزي واستقبال الشدائد، فكان في غنى عن التذكير بالصبر والتجلّد امام الحوادث. ثم يدعوله ببقاء بحاره الزاخرة في الصبر والكرم على توالي المحن والنوائب، وتوارد عُفاة معروفة و قصّاد بابه. يفضّله على سائرالملوك تفضيل المستقيم على المعوجّ، و يقرب المسألة من الذّهن و يُزيل غرابته بأنه ان فضل على الجميع و هو فرد منهم فلا عجب في ذلك، فان المسك و ان كان من جنس دم الغزال يفوق على سائر دمه في الشرف والمزيّة.

أسيف الدولة استَنْجِدْ بصبرٍ ... و كيف بمثل صبرك للجبالِ
فأنت تُعلّم الناسَ التعزّي ... وخوضَ الموتِ في الحرب النِّجالِ
وحالاتُ الزّمان عليك شتّى ... و حالُك واحِدٌ في كلّ حالِ(٢٦)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

فلا غيضَتْ بحارُك يا جَموماً ... على عَلَلِ الغرانب والدّخالِ (٢٧)
رأيتك في الذين أرى ملوكاً ... كـأنّـكَ مستقيم في محـالِ (٢٨)
فإن تفق الأنـام فـانت منهم ... فإنّ المسكَ بعضُ دم الغـزالِ

القصيدة في ميزان النقد والمقارنة

لما درست هذه القصيدة الرثائية عن كثب واسبرتها وراجعت بعض المصادر فيها، وصلت إلى نتائج أشار إلى بعضها الآخرون و بعضها لم يُسبق اليه، فلا يحمل وزره الاّ نفسي، ولايستهدف لسهام الرّد الاّ شخصي، و اليك هذه النتائج:

١ ـ لقد أجاد المتنبي لما بدأ قصيدته بتلك المقدمة التي اسلفنا الاشارة لها بانّه لابدّ من الموت وأن الانسان عاجز عن دفعه، و ان خيل الدّهر والليّالي لايزال في غارة أعمارنا، فلا بقاء في الدنيا لأحد ولا خلود فيها لفرد، إذاً لافائدة في الحرص عليها والإنهماك في حبّها. فالشاعر بهذه المقدمة الوجيزة في ذلك الأسلوب اللاّئط بالقلب يسوق الانسان إلى أن يقابل الموت بالعقل والفكر لابالاحساس والعاطفة، ويدعوه الى المقاومة والتصبّر و ترك الجزع والتضجّر.

٢ ـ اذا نظرنا إلى القصيدة من ناحية موسيقى الكلمات و ما يتطلبه الرثاء من الايقاعات و ترَنُّم الالفاظ، و قسنا عمل الشاعر هنا بذلك المقياس، وجدنا ألفاظ القصيدة و كلماتها على حظ و فير من الموسيقى المطلوبة. ذلك انّ الموضوع والمعنى يستدعيان قالبا يلائمهما، فمثلا اذا كان الموضوع الكرّ والفرّ او الصيد والسير فلا شك أن القالب المناسب له ما كانت الهجاءات فيه قصيرة والنبرات قريبة، الاترى قول امرئ القيس لما يصف حركة فرسه و سرعته:

مِكَرّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدْبرٍ معاً ... كجلمود صخر حطّه السيلُ من علِ

كأنّه يستمدّ لتصوير تلك الحركة والسرعة و تجسيدهما من موسيقى الألفاظ وايقاعاتها القصيرة.

اما اذا كان الموضوع ما ينتهي الى الحزن و يسوق الإنسان الى أن يتنفّس من همومه، فالقالب المناسب إذن ما كانت الهجاءات فيه طويلة، كأن الالفاظ بنبراتها الطويلة تساعد على التنفس من زفرات الصدر. لهذا يُلحق آخر المنادى عندالندبة الف، لطول الصوت، فيقال: واحُسينا، أوْ واحسيناه.

اذا رجعنا الى قصيدتنا الرثائية و تقلّب الكلمات والألفاظ فيها وجدناها حافلة بموسيقى ملائمة للموضوع، فمثلا انظر إلى قوله:

رَماني الدّهر بالأزرآء حتّىَ ... فؤادي في غشاءٍ مِنْ نبالِ

فهذا البيت مركب من كلمات كلها طويلة الهجاء غير لفظي «الدهر» و «من».

٣ ـ استمدّ الشاعر في تهويل المصيبة من صنعة جمع قضايا لاتجمع في العادة، فصوّر بريشة تخليه لوحة انعكست عليها حالات لم تكن مألوفة من قبل، و ذلك مثل: تكسر النصال على النصال، تمثّل الحجر في ريش النعام، تحوّل المخبّآت الى المبرّرات، وضع النِقس مكان الغوالي، و اجتماع دم الحزن مع دمع الدلال فهذه القضايا تبدو في صورة اجتماع الأضداد.

٤ ـ أُبدع الشاعر في بعض صوره التخييلية وذلك مثل جعل سيف الدّولة نطاسي المعالي و معالجة ادواء ثغر ملكه باسقاء أسنة الرّماح، و كالتمثيل بالشمس والقمر في تقريب فضل النساء و بالمسك والدّم لتفضيل واحد على سائرالناس جميعا. لكن الشاعر لم يفلح في تشبيه وقع المطر على القبر بضرب ايدي الخيل اذا رأت المخالي، فلا يخفى قبحه و نبوّه من الطبع، و ايضا أن وقع مطر كهذا ينتهي الى هدم القبر بدل اسقاءه، فهو بالدعاء عليها أشبه.(٢٩)

٥ ـ إن وصف الوجه بالجمال في قوله:

صلاةالله خالقنا حنوطٌ ... على الوجهِ المُكَفّنِ بالجمالِ

غير مرضيّ من وجوه: الأوّل ـ ان صاحب الوجه امّ الأمير والأمراء يأنفون من وصف نسائهم بالصفات الجسدية. الثاني: ان الوصف بالجمال واقع غير موقعه، اذ أن الميتة عجوزة ذهب ماؤها و زال جمالها، عاشت طويلا وقضت عمراً كثيراً.(٣٠)

الثالث: انه يشبه رثاء الحِبّ والأهل.

٦ ـ أنكر الصاحب بن عباد لفظة «مُسْبَطِرّ» في قوله:

رواق العزّ حولك مُسبطِرُّ ... وملك على ابنك في كمالِ

وقال ان ذكرها في مرثية النساء من الخذلان المبين.

وكذا انكر تكرار اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين، كقوله:

وأفجعُ من فقدنا مَنْ وجدنا ... قُبيل الفقد مفقود المثالِ

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

فقال: وأظن أن المصيبة في الرّاثي أعظم منها في المرثى.[٣١]

٧ ـ نقد الدكتور احمد بدوي قوله:

وهانَ فما أبالي بالرَّزايا لأني ما انتفعتُ بأن أبالي

فقال: .. و هذا البيت الأخير نتيجة للأبيات السابقة ولكنه على مايبدو لايناسب المقام الذي قيل فيه، لانه في موقف استقبال لنبأ موت أمّ الأمير، و هو موقف يستدعي الاحتفال بالنبأ والمبالاة به، و مشاركة الأمير في هذا الخطب الذي نزل به ويتظاهر بذلك، ممّا يجعل هذا البيت قلقا في هذا المقام.[٣٢]

لا اوافق الدكتور بدوي في هذا النقد و كون البيت قلقا في مكانه، ذلك لأنّ معنى كلام المتنبي ههنا على ما افهمه هو أن الشاعر بسبب تلك الحادثة العظمى قد واجه هموما و احزانا كثيرة و نوائب شديدة لم تبقِ مِنْ قبله موضعا سالما و محلاخاليا، فتستر فؤاده بغشاء من النبال و خاض في لجّة من النصال، فبعد هذا لايهتم بسائرالحوادث لانه لم يَبْقَ لها وقْعٌ يُخاف ولا وَخْزٌ يُعاف. وهذا نظير قول ابن المقفّع في رثاء ابي عمرو بن العلاء:

فان كنت قد فارقتنا و تركتنا ذوي خلّة ما في انسداد لها طمعْ
فقد جرّ نفعاً فقد نالك أنّنا أمنّا على كلّ الرّزايا من الجزع[٣٣]

٨ ـ انّ قوله:

بعيشك هل سلوتِ فإن قلبي وإن جانبتُ أرضكِ غير سالِ

ان تركناه على ظاهره ولم نتعسف في تاويله و تخريجه فهو بالغزل اشبه من الرثاء، ولهذا قال الصاحب بن عباد: مررت على مرثية له في امّ سيف الدولة تدلّ مع فسادالحس على سوءِ ادب النفس، و ما ظنّك بمن يخاطب ملكا في امّه بقوله (البيت السابق) فيتشوق اليها و يخطئ خطأ لم يسبق اليه، و انما يقول مثل ذلك من يرثي بعض اهله، فاما استعماله ايّاه في هذا الموضع فدالّ على ضعف البصر بمواقع الكلام.[٣٤]

٩ ـ الرثاء بالنسبة الى الشخص الرّاحل والثناء عليه يدور معانيه على هذه الصفات: التستر والعفاف، الجود والكرم، الترفه والتنعم، الجمال وكتمان السّر وصدق القول، فهذه الصفات تستحق الدراسة من نواح مختلفة:

الاول: ان دائرة الصفات ضيقة جدّا، فكان امام الشاعر فضائل اخرى كالأمومة، العطف والحنان، تربية الأولاد، تدبير المنزل، العقل والفكر و غيرها. حسبنا لأهمية تربية الأولاد ماقال النبي(ص): «الجنةُ تحت أقدام الأمهات».

الثاني: ان مسألة التستر والعفاف، و كذا الترفه والتنعم تكرّرت بعبارات مختلفة و بأشكال متنوعة، ليراجع أبيات ١١، ٢٥، ٢٧، ١٥، ١٦، ٣٢ و ٣٣.

الثالث: ان وصف الجمال جاء في غير موضعه كما سبق الأشارة إليه.

١٠ ـ إنّ قوله: «نزلتِ على الكراهة...» يعظم تهويل الموت على التي اعترف الشاعر بأنها مدفونة في كرم الخلال و يزيد في كراهتها للموت، مع ان اللائق بالمقام ان يخفّف الشاعر من شأن الموت و يهوّن أمره للشخص الراحل، كما فعل في قوله:

أطاب النفس أنّكِ مُتِّ موتا تمنّته البواقي والخوالي

ويتوسل الى أن الحياة الخالدة هي بقاء الذكر، وأن الموت هو فقدان الخلال الكريمة، فمامات مَن يُذكر بالخير و ما عاش من خاض في الشرّ[٣٥]. و أن الإحسان والجود و صدق القول مثلا يتبعها الثواب في الجنة، و تورد الشخص الراحل دارالرّحمة والنعمة، قال الحُطيئة:

من يفعلِ الخيرَ لايُعدَمْ جوازِيَه لايُذهَبُ العُرفُ بين الله والناسِ

الا ترى ابي تمام كيف أجاد في رثاء حميد الطائي حيث يقول:

غلا غَدْوةً والحمدُ نسج ردائه فلم ينصرف إلّا و أكفانه الأجرُ
تردّى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليلُ الّا و هي من سندس خضرُ[٣٦]

على انّه اظنُّ أن قوله «نزلتِ على الكراهة...» لايتفق كثيرا مع قوله الآخر «أطاب النفس...» و كأن معناهما متنافران معا.

١١ ـ الرثاء يفوح بنفحة ارستقراطية غالية يعدّها الشاعر فضيلة و يحسبها مزية، يشيدها بملئ فيه فكانه من هواتها و حماتها، فهو لايمدح موتى الأمراء والملوك فقط بل يحقر شأن سائرالناس و يستخفّ بهم. اين المتنبّي من حقده على الأمراء والملوك حيث يقول:

وَجَنّبني قرب السلاطين مقتها و ما يقتضيني من جماحها النَسرُ
صحبتُ ملوك الأرضِ مُغْتبطابهم وفارقتهم ملآن مِنْ حَنَقٍ صَدْلا

١٢ ـ الرثاء خال من صدق العاطفة، وصنعة التكلف فيه بادية، والدليل على ذلك تكرار المعاني والخروج عن الموضوع والمبالغة التي لاتنبئ عن حرقة في القلب و جرح في الصدر.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

المصادر والهوامش:

١ ـ الاعداد: التهيئة والتجهيز. المشرفية: السيوف. العوالي: الرماح.
٢ ـ السوابق: الخيول السريعة الكرمة. الخبب: ضرب من العدْو، السرعة والكرّ.
٣ ـ الأرزاء جمع رُزء: المنية. الغشاء: ما يغطى الشيء و يستره.
٤ ـ النصال، جمع نصل: الحديدة التي في السهم.
٥ ـ الناعي من يخبر بالموت. نطَر، الجمع. المنية: مخفف المَنيّة بالتشديد.
٦ ـ البال: القلب.
٧ ـ الحنوط: طيب يغسل به الميت.
٨ ـ اللحد: الشق في جانب القبر.
٩ ـ هذا البيت يذكرنا قول ابي تمام في رثاء اخت محمدبن سهل:

لها منزل تحت الثرى و عهدتها ... لها منزل بين الجوانح والقلب

١٠ ـ اطاب النفس: يسلّي النفس.
١١ ـ رواق البيت: مقدّمه. مسبطر: ممتدّ.
١٢ ـ الغوادي، جمع غادية: السحابة التي تنشأ غدوة.
١٣ ـ الساحي: ما يعبر الارض: الخفس سده الوقع. المُخالي، جمع مخلاة: مايوضع فيه الخلى، اى الرطب من الحشيش.
١٤ ـ العافي: السائل وطالب المعروف.
١٥ ـ ما أهداك: صيغه التعجب. الجدوى: العطاء والاحسان. الفعال: الفعل الحسن.
١٦ ـ النعامى: ريح الجنوب والشمال خلافه.
١٧ ـ الخزامى: نبت طيب الريح. الطلال، جمع. طل: المطر الخفيف.
١٨ ـ منبت الحبال: منقطع الوصل.
١٩ ـ الحصان: العفيفة.
٢٠ ـ نطاسي: الطبيب الحاذق. يفسر الشراح البيت هكذا: يعالجها قبل الموت ليزيل مرضها طبيب الأمراض والحال ان انها طبيب المعالي. ولكن اعتقد ان الواو في «وواحدها...» ليست للحال بل للعطف وان المراد بنطاسي السكّايا و نطاسي المعالي واحد، اعني سيف الدولة، والمعنى بالمعالجة تحقيق الآمال و تكميل فعالها الجميل. فلاحاجة الى ان تؤول المعالجة حينئذ بالمداواة قبل الموت.
٢١ ـ الحجال، جمع حجلة بيت صغير في جوف البيت يستر النساء.
٢٢ ـ نفض التراب عنه: أزاله.
٢٣ ـ المَروْ: ضرب من الحجارة ابيض برّاق. الزفّ: ريش النعام. الرئال، جمع رأل: ولد النعام.
٢٤ ـ النِفس: الخير. الغوالي، جمع غالية: مايتطيب به من المسك والعطريّات.
٢٥ ـ الهام: الرؤوس. الأوالي مقلوب الأوائل.
٢٦ ـ شتى: مختلفة.
٢٧ ـ غيضت: قلّت. الجموم: الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت. العلل: الشرب ثانيا. الغرائب جمع غريبة: مالم يكن معروفا. الدخال: هو ان يدخل حين أن قد شرب الماء و بين آخر من لم يشربوا.
٢٨ ـ المحال: معوّج.
٢٩ ـ شرح ديوان المتنبي للواحدي، ٣٩١، طبع برلين ١٨٦١ م.
٣٠ ـ العمدة، ٢/٤٧، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة حجازي، ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤.
٣١ ـ يتيمة الدهر، ١/١١٩.
٣٢ ـ اسس النقد الادبي عندالعرب، ٢٣٨، مطبعة دارالنهضة، قاهرة.
٣٣ ـ شرح ديوان الحماسة، فصل المراثي، ١/٢٥٦ للمرزوقي.
٣٤ ـ يتيمة الدهر، ١٢٢ ـ ١/١٢١
٣٥ ـ فها اجمل قول السعدي الشيرازي شاعر الانسانية:

سعديا مردنكونام نبرد هرگز ... مرده آنست كه نامش بنكويى نبرند

٣٦ ـ ديوان ابي تمام، طبع ايليا حاوي، ٦٧١.